٤٤

مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية

مركز مدارس التلقين والدراسات الإسلامية

محاضرة مكتوبة

أهمية منصب المرجعية الدينية

سماحة السيد
باسم الموسوي
-٢٠٢٤-

أهمية منصب المرجعية الدينية

يقدّم هذا التقرير لمضامين محاضرة السيد باسم الموسوي في مركز مدرك للتنمية والدراسات الإسلامية ضمن مخيم شباب قضاء الكحلاء عرضا موجزًا لمحتوى المحاضرة التي تناولت أهمية منصب المرجعية الدينية في الفكر الإمامي، مبيّنًا جذور هذا المنصب باعتباره الامتداد الإلهي الطبيعي بعد ختم النبوة وغيبة الإمام المعصوم، ومؤكدًا الدور الذي أرساه الأئمة (عليهم السلام) في تأسيس شبكة الفقهاء والوكلاء لتهيئة الأمة لمرحلة الغيبة الكبرى. ويعرض التقرير وظائف المرجعية الأساسية في الإفتاء والقضاء والولاية، مع بيان الأدلة الشرعية التي استندت إليها، كما يوضح أدوار المرجع في رعاية الشأن الديني والاجتماعي وتخريج العلماء وحماية الهوية الإيمانية. ويهدف هذا التقرير إلى إبراز الموقع المحوري للمرجعية، وبيان مسؤولية الأمة في احترامها والالتفاف حولها ومواجهة محاولات التشويه أو التوهين التي تستهدف هذا الركن الأساس في البنية العقدية للمذهب الإمامي.

أهمية منصب المرجعية الدينية

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الحقيقة، أنا قبل مجيئي وأول ما تلقيت الدعوة أن أكون متكلماً بين أيديكم، عرضت أمامي عدة عناوين. أحد العناوين التي عرضت أمامي هو سؤال سُئل به سماحة المرجع الأعلى في عام ٢٠٠٤ (يمكنكم الاطلاع عليه في موقع السيد السيستاني أيضاً). كانوا يسألونه: ما الذي تخاف منه على العراقيين بعد السقوط؟ فقال: "أخوف ما أخافه على العراقيين هو محو الهوية الدينية والثقافية"[١].

فأردت أن أتكلم بهذا الموضوع، لكن استخرت، والاستخارة نهتني.

موضوع ثانٍ أردت أن أتكلم به أيضاً حول الشخصية الراشدة. وهذه الشخصيات التي رأيناها كلها، الحمد لله رب العالمين، شخصيات راشدة وناضجة، ولعل التحدث في هذا الموضوع يكون من تحصيل الحاصل. الاستخارة أيضاً نهتني.

الموضوع الثالث الذي كانت استخارته ممتازة جداً، والذي سأتكلم به معكم، هو موضوع المرجعية.

موضوعي معكم إن شاء الله تعالى عن أهمية منصب المرجعية الدينية وخطورة هذا المنصب.

أولاً، نحن عندنا المناصب الإلهية ثلاثة: منصب النبوة، والإمامة، ومنصب المرجعية الدينية. المرجعية الدينية هي مشروع السماء أو المشروع الإلهي في عصر الغيبة

---

[١] - س١٠: ما هو أكبر خطر وتهديد لمستقبل العراق؟

ج١٠: خطر طمس هويته الثقافية التي من أهم ركائزها هو الدين الاسلامي الحنيف. https://www.sistani.org/arabic/archive/٢٥٢/ الموقع الرسمي لسماحة المرجع الديني السيد علي الحسيني السيستاني.

الكبرى. طبعاً، هذا المشروع كله نتاج عمل الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم؛ فالفكرة والنظرية والتطبيق كله مما أسس له الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم. وكل واحد من المناصب الإلهية التي ذكرناها (منصب النبوة، منصب الإمامة، منصب المرجعية الدينية) هو امتداد لسابقه.

تعلمون أن النبوة خُتمت بنبوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ماذا جاء بعد النبي؟ جاء منصب الإمامة، الأئمة (عليهم السلام). وشاءت الأقدار ألا نرى الإمام صاحب العصر والزمان، خاتم الحجج. ما هو المنصب الذي جاء بعد الأئمة (عليهم السلام)؟ هو منصب المرجعية الدينية.

حتى نقدم مقدمة عن كيفية كون كل منصب هو امتداد لسابقه، تعلمون، مثلما قدمنا الآن، أن منصب النبوة خُتم بنبوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ما هو المنصب الذي جاء بعده؟ منصب الإمامة.

بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عندنا نظريتان سائدتان:

١. نظرية تقول إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يستخلف أحداً (لم يترك خليفة)، وأوكل هذا الأمر للأمة لتختاره هي.

٢. ونظرية أخرى تقول: النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبحكم العقل، لا بد أن يختار خلفاء، وإلا يكون النبي مضيّعاً للأمة إذا لم يختر.

طبعاً، اعتقادنا الإمامي هو هذا الاعتقاد الثاني. ومثلما نصّت السماء على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونزل عليه الوحي، فالنبي هو الذي يختار، إذاً اختيارهم من أين؟ التعيين يكون بواسطة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

هذه النظرية (التي تقول بأنه أوكل الأمر للأمة) تجعل النبي مضيعاً بحكم العقل. وشاهد على هذا الكلام هو عبد الله بن عمر. دخل ابن عمر على أبيه عمر بن الخطاب وهو

على فراش الوفاة، وقال له: "سمعت كلام الناس يتحدثون بأنك ستموت وأنك لم توصِ بأحد ولم تستخلف."

أرأيت لو كان عندك قطيع من الغنم أو قطيع من الإبل، وتركت عليها راعياً، وهذا الراعي تركها وذهب، أليس يكون مضيعاً؟ قال: بلى. انظر كيف التفت ابن عمر إلى حكم العقل: هذا الراعي لو ترك الإبل، هل هو مضيع أم لا؟

مضيّع، تذهب وكل واحد يذهب في اتجاه. أليس مضيعاً؟ قال: بلى. قال: "إذاً، أمر الناس أشدّ!" انظر كيف يؤكد على أبيه، إذاً لا بد أن تستخلف. فقضية الاستخلاف تقتضي أن النبي لا بد أن يعين الخليفة.

الخلفاء من بعده اثنا عشر، كلهم من قريش، لا تنتهي هذه الدنيا إلا بهم. السُنن متعددة لرواية الاستخلاف من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

ما يهمنا هو أن حقبة الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم انتهت، وشاءت الأقدار ألا نرى الطلعة البهية للإمام صاحب الزمان صلوات الله وسلامه عليه.

هل الأئمة (عليهم السلام) يتركون الناس؟ لا يتركون الناس. هناك ملف مهم جداً وخطير، وهو إعداد لمرحلة الغيبة الكبرى. تعلمون أن الاعتماد في الغيبة الصغرى كان على السفراء.

هذا النائب الخاص (السفير) أعلى درجة من النائب العام؛ لأن اختياره اختيار معصوم.

أول قضية عمل عليها الأئمة (عليهم السلام) هي الاعتماد على شبكة من الفقهاء. الإمام كان في المدينة مثلاً، أو في بغداد أو خراسان، والشيعة متوزعون على الخارطة (في مصر والعراق والمدينة والكوفة والبصرة وقم). فليس كل واحد يقدر أن يصل للإمام. وليس الأمر مثل اليوم تتصل وترسل رسالة بالواتساب، فيرسل لي شخص من الجزائر رسالة

ويحصل على الجواب في نفس الوقت، وشخص من أوروبا يرسل لي الرسالة ويحصل على الجواب في نفس الوقت، أليس كذلك؟ اليوم ليس مثل اليوم، فهناك وسائل تواصل اجتماعي وغيرها. في السابق، كان من الصعب الوصول للإمام.

علي بن المسيب يقول للإمام: "شقتي بعيدة (أي مسكني بعيد)، وهي رواية معروفة. لست أصل إليك، لا أستطيع الوصول إليك. كلما حدثت عندي مسائل، أين أذهب؟"

فإلى من أشار؟ قال: ((اذهب إلى زكريا بن آدم عندكم، فإنه المأمون على الدين والدنيا))[٢]. يقول: رجعت، وذهبت إلى زكريا بن آدم، وسألته عن مسائلي وأخذت إجاباتها. انظر كيف أشار الإمام: قال له: اذهب، هذا واحد من الفقهاء، ارجع له، هو يجيبك على أسئلك.

كذلك، أراد الأئمة (عليهم السلام) أن يهيئوا الناس للغيبة الصغرى والكبرى، ليس فقط بالاعتماد على شبكة من الوكلاء والفقهاء لإدارة شؤون الإمامة، مثلما تُدار المرجعية اليوم بشبكة من المعتمدين والوكلاء.

بدأ ملف مهم جداً وهو ما يُسمّى عصر الاستتار التدريجي، حيث كان الإمام لا يظهر كثيراً، ويعتمد على الوكيل.

عثمان بن سعيد، الذي ذكرتموه، تربى صغيراً في بيت الإمام الجواد (عليه السلام)، ونشأ في بيت الإمام الهادي، وصار وكيلاً للإمام الهادي، ووكيل الإمام الحسن العسكري. كانت تأتي الوفود وتذهب، ويأتون بعثمان بن سعيد ويلتقي بهم. لديهم مسائل، لديهم حقوق. كان الإمام يعتمد على الوكيل. يريد أن يهيئ الناس لتتعامل مع الاستتار. ستحدث غيبة صغرى، فالإمام بعد ذلك لا يظهر مع القواعد الشعبية. من الذي يظهر مع القواعد

[٢] - عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن عيسى، عن أحمد بن الوليد، عن علي بن المسيب، قال: قلت للرضا ((عليه السلام)) شقتي بعيدة ولست أصل إليك في كل وقت، فممن آخذ معالم ديني؟ فقال: من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا، قال علي بن المسيب: فلما انصرفت قدمت على زكريا بن آدم فسألته عما احتجت اليه. إختيار معرفة الرجال المعروف بـ رجال الكشي، الشيخ الطوسي: ٢ / ٨٥٨.

الشعبية؟ السفير الوكيل. السفير هو الذي يتصدى للإجابة عن الأسئلة واستلام الحقوق والقضايا التي تحتاج ولاية وغيرها.

المناصب عندنا هي منصب النبوة، والإمامة، ومنصب المرجعية الدينية. منصب المرجعية الدينية نسميه النيابة العامة. والسفارة هي النيابة الخاصة.

دامت فترة الغيبة الصغرى ٦٩ سنة تقريباً. الإمام كان يعتمد فيها على الوكلاء الخاصين الذين يعينهم هو.

بعدها، أرشد الإمام للنيابة العامة (نيابة الفقهاء)، قائلاً: ((وأما الحوادث الواقعة فارجعوا بها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله))[٣].

ما هي الأدوار التي ينوب بها الفقيه عن الإمام؟

نحن عندنا ثلاثة أدوار باختصار:

١. دور الإفتاء (الفتوى).

٢. دور القضاء.

٣. دور الولاية (الحاكمية).

الولاية طبعاً فيها خلاف فقهي في سعتها وضيقها. البعض يرى الولاية الحسبية، والبعض يرى الولاية العامة المطلقة.

نظرية ولاية الفقيه هي أحد المبادئ التي طوّرت الفقه الشيعي والاستدلال الشيعي، وقد أثرت الفقه الشيعي كثيراً.

تفصيل الأدوار الثلاثة:

---

[٣] - عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتابا قد سألت فيه عن مسائل أشكلت على، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام: أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك - إلى أن قال: وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله، وأما محمد بن عثمان العمري فرضي الله عنه وعن أبيه من قبل، فإنه ثقتي وكتابه كتابي. وسائل الشيعة، الشيخ حرّ العاملي: ١٨ / ١٠١.

١. دور الفتوى:

الإمام جعل الفقهاء حجة علينا بالفتوى؛ إذ جعل الفقهاء امتداداً لمنصب الإمامة في الإفتاء. ((من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه))[٤].

٢. منصب القضاء:

هذا المنصب جعله الأئمة (عليهم السلام) أيضاً للفقهاء ليكون امتداداً لهم. الفقيه هو الذي له الحق أن يقضي بين المتخاصمين، ويحل مشاكل الناس على طبق الموازين الشرعية. الإمام الصادق (عليه السلام) قال: ((إياكم والتحاكم إلى حكام الجور)). وأمر بالتحاكم إلى شخص "عرف شيئاً من حلالنا وحرامنا"، وقال: ((فاجعلوه حكماً بينكم، فإني جعلته قاضياً عليكم))[٥].

٣. دور الولاية (الحاكمية):

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم. وهذا الحق أعطاه الله للنبي، والنبي أعطاه للأئمة، والأئمة أعطوه للفقهاء. يختلف الفقهاء في سعته وضيقه. البعض يرى الولاية المطلقة، والبعض يرى الولاية الحسبية، التي تتعلق بنظام الأمة. مثل:

الولاية على أموال شخص غائب لا وارث له.

الولاية على وقف مسجد لا يوجد عليه ولي (لمنع إفساده واستغلاله في دورات قرآنية أو حسينيات).

---

[٤] - ن أبي محمد العسكري (عليه السلام): ... فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظا لدينه مخالفا على هواه، مطيعا لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا كلهم، فان من ركب من القبايح والفواحش مراكب علماء العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئا ولا كرامة، وإنما كثر التخليط فيما يتحمل عنا أهل البيت لذلك، لأن الفسقة يتحملون عنا فيحرفونه بأسره لجهلهم ويضعون الأشياء على غير وجهها لقلة معرفتهم، وآخرون يتعمدون الكذب علينا الحديث. وسائل الشيعة، الشيخ حرّ العاملي: ١٨ / ٩٥.

[٥] - الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الحسن بن علي عن ابي خديجة قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: اياكم ان يحاكم بعضكم بعضا إلى اهل الجور، ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئا من قضايانا فاجعلوه بينكم فاني قد جعلته قاضيا فتحاكموا إليه. تهذيب الأحكام، شيخ الطائفة:٦ / ٢١٩.

الولاية على شؤون الأيتام والقاصرين.

هذه الأمور التي بها نظام الناس، في الرواية: ((مجاري الأمور بيد الفقهاء العلماء))[٦]. ومن هذه المسألة نشأت مسألة ولاية الفقيه.

الأئمة (عليهم السلام) أوصلونا إلى النيابة العامة، وهي المشروع الإلهي في زمن الغيبة. لم يترك الأئمة أصحابهم. حينما انتقل النبي للرفيق الأعلى، لم تكن الأحكام والمعارف كلها تامة ومبيَّنة. لا يزال لدينا أحكام تحتاج إلى بيان وتوضيح، فإلى من ننتقل بها؟ نحن ننتقل إلى أهل البيت (عليهم السلام)، الذين أعطوا منظومة فقهية متكاملة وأكملوا جهود النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيان الأحكام. هذا الفقيه إذا لم يجد رواية عن النبي، يذهب إلى أهل البيت (عليهم السلام)، فالحكم موجود عندهم.

إذاً، المراجع هم وكلاء أو وكلاء عامون عن الإمام في الإفتاء والقضاء والولاية.

وظيفتنا تجاه المرجعية الدينية

هذا كلام مهم جداً وهي مسؤولية شرعية:

أولاً: وعي محاولات توهين المرجعية الدينية

وتشمل:

١. ضرب العمامة: إذا استطعت أن تضرب العمامة، يمكنك القضاء على المرجعية. إذا حدثت مشكلة بين شخص ومعمم، فإنه يسب كل المعممين، ويسقط العمامة، ويتحدث عنها هنا وهناك. وهناك أجندات خاصة تدفع بنماذج مُعمّمة (تتصور مع النساء، تطلق النكات، تقوم بأمور فيها سفاهة) لإسقاط العمامة وتوهينها والتقليل من قدسيتها في نفوس الناس، ليُسحب ذلك على كل معمَّم.

[٦] - تقرير بحث النائيني ، للخوانساري - ج ٢ - الصفحة ٢٤٠

٢. الاستخفاف بالفتوى: لا يجوز تسقيط الفتوى أو الاستخفاف بها أو الاستهزاء بها أو التقليل من شأنها، إذا خالفت تقليدك. بل إن نشر الفتاوى على وسائل التواصل الاجتماعي قد يُقابَل ببعض الاستخفاف، مثل القول: "هذا الحكم لا يجوز، وكيف يحكم الشرع هكذا؟" ومن أنواع الضرب الأخرى هو توقيت نشر فتاوى تافهة في وقت يمر فيه البلد بأزمة وتوجه نحو أمر معين مهم، للتقليل من شأن ذلك الأمر المهم.

ثانياً: الالتفاف حول المرجعية الدينية

وأول قضية فيه هي احترام الفقهاء والمراجع. في الرواية: ((من أكرم فقيهاً... ومن أهان فقيهاً أدخله الله النار))[٧]. انظروا إلى أهمية الفقيه عند أهل البيت، فالإمام الصادق (عليه السلام) يقوم لهشام بن الحكم ويستقبله ويقبله، ويقول: "أهلاً بناصرنا أهل البيت". والإمام الحسين (عليه السلام) أرسل رسالة خاصة إلى حبيب بن مظاهر الأسدي: ((من الحسين بن علي إلى الفقيه حبيب بن مظاهر الأسدي، لقد نزلنا أرض كربلاء فلا تبخل علينا بنفسك)).

وظائف المراجع الإضافية (إلى جانب الإفتاء والقضاء والولاية)

المرجع ليس جالساً وساكتاً، بل يقوم بـ:

تخريج طلبة العلم ونشرهم في المناطق.

تكوين فقهاء ومراجع.

تقوية كلمة التشيع.

نشر المراكز الإسلامية والاهتمام بها (في أمريكا الشمالية والجنوبية وأوروبا)، لتكون مرجعاً للجاليات الشيعية.

[٧] - عن النبي (صلى الله عليه وآله): ((من أكرم فقيهاً مسلماً لقي الله تعالى يوم القيامة وهو عنه راض، ومن أهان فقيهاً مسلماً لقي الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان)). عوالي اللآلي: ج ١، ص ٣٥٩، ح ٣١.

الفتوى من الفتاوى قد تكلف المرجع أسابيع وأشهراً حتى يعطيك إياها. يسهر الليالي ويبذل الجهد، لأن قضية الحكم الشرعي خطيرة جداً، ومسؤولية كبيرة. ومسألة واحدة في الحج أخذت من مرجعين ثلاثة أسابيع يتباحثون فيها كل يوم.

(تساؤلات الحضور):

فيما يتعلق بالتحاكم إلى المحاكم الوضعية وحكام الجور، الأصل هو: ((إياكم والتحاكم إلى حكام الجور)). وإذا حُكم لك بحكمهم، فهو سُحت وحرام. ولكن إذا لم تحصل على حقك إلا بهذا الطريق الحصري، تكون هناك مسألة فقهية تُجيز ذلك (إذا كان المال جزئياً أو لا يمكن الحصول على الحق إلا به). وإلا، فالثقافة التي يجب أن تسود هي أن أي منازعة يجب أن نذهب بها إلى الحاكم الشرعي أو معتمد السيد في المنطقة.

والحاكم الشرعي هو المرجع في كل شيء، حتى في القضايا الإدارية والزراعية؛ لأن "لكل واقعة حكم"، والسيد السيستاني قرأ الدساتير كلها. فلكل جلوس وكل قيام حكم شرعي.

والحمد لله رب العالمين

السيد باسم الموسوي